الثورة الأسبانية

بقلم باحث دبلوماسي كبير

كانت أسبانيا قبل بضعة أعوام تحيا حياة عادية ، وتتمتع فى ظل الملوكية بنوع من الاستقرار والسكينة ، لا يزعجها سوى بعض الأزمات الداخلية والاضطرابات المحلية . ولكن أسبانيا شاءت منذ بضعة أعوام أن تحطم نير الملوكية ، وأن تقيم حكومة جمهورية شعبية ؛ وكانت الملوكية الأسبانية تحتضر فى الواقع قبل ذلك بأعوام ، فى ظل حكومة الطغيان العسكرى التى فرضها الجنرال بريمو دى رفيرا على أسبانيا منذ حوادث مراكش الشهيرة ؛ وكانت أسبانيا تعانى مرارة هذا الطغيان المرهق ساخطة متربصة ؛ فلما توفى الجنرال دى رفيرا اضمحل نير العسكرية ؛ وحاولت الملوكية أن تستعيد سلطانها القديم ، ولكن الشعب الأسبانى كان قد سئم حياة الذلة فى ظل النظم المطلقة ، فانتهز فرصة الانتخابات العامة التى أجريت فى ربيع سنة ١٩٣١ وأبدى رغبته جلية فى مناصرة الجبهة الجمهورية ، وشعرت الملوكية أنه لم يبق لها أمل فى البقاء ، فآثرت أن تنسحب فى سكينة ، وأن تترك الميدان حراً للشعب الذى لفظها وأباها

وهكذا قامت الجمهورية الأسبانية نتيجة ثورة سلمية لم يشبها سيل الدماء ، ولا ويلات الحرب الأهلية ؛ واعتقد الشعب الأسبانى ، واعتقد العالم أن أسبانيا سوف تستقبل فى ظل الجمهورية حياة جديدة من الحرية والسكينة والرخاء

ولكن الجمهورية الأسبانية ولدت ضعيفة مفككة العرى ، ولم يستطع زعماؤها منذ البداية أن يجمعوا كلمتها أو يوحدوا قيادتها ضد القوى الرجعية التى كانت تتربص بها ؛ ومنذ البداية انحدرت الأحزاب والقوى الجمهورية إلى غمر الخصومات والمعارك المحلية ؛ ونمت الحركة الاشتراكية فى ظل النظام الجديد بسرعة ، واستطاعت ولاية قطلونية مهد الاشتراكية الأسبانية أن تملى إرادتها على حكومة مدريد ، وأن تفوز باستقلالها المحلى ؛ وتوالت الأزمات الداخلية والاعتصابات المحلية ، وزادت الأزمة الاقتصادية فى حدة هذه الاضطرابات وخطرها على الجمهورية الفتية ؛ وألفت الجمهورية نفسها عاجزة عن ضبط القوى التى أثارتها ، وتعاقبت الحكومات بسرعة ، وسارت البلاد مسرعة إلى الفوضى ؛ ولم تدرك الأحزاب الجمهورية أنها بهذه المعارك المستمرة تمهد لفوز القوى الرجعية التى تتربص بها

وكان الجيش مهد هذه القوى الرجعية التى تناصرها فلول الملوكية الذاهبة ؛ وقد دبر فلول الملوكية وفلول النظام القديم فى الأعوام الأخيرة عدة محاولات ومؤامرات لاسقاط النظام الجمهورى ، ولكنها فشلت جميعاً ، لأنها كانت محاولات محلية لا تؤيدها قوة عامة . على أن روح التبرم والسخط كانت تضطرم دائماً فى معظم وحدات الجيش ؛ ولم ينس زعماء العسكرية أنهم تمتعوا بسلطان الحكم فى عهد الطغيان العسكرى ، وأن قيام الحكومة الجمهورية إنما هو قضاء على سلطانهم ونفوذهم ؛ ورأوا من جهة أخرى ما يشجع آمالهم ومشاريعهم فى عجز الحكومة الشعبية ، وتوالى الاضطرابات العامة ، وسأم الشعب من هذه الفوضى التى يذكيها تفاقم الأزمة الاقتصادية ، وتوالى الاعتصابات

وقد ألفت العناصر العسكرية الناقمة فرصتها فى الاضطرابات والاعتصابات الأخيرة التى دبرها الشيوعيون بالأخص ، والتى ما زالت منذ أسابيع تزعج حكومة مدريد وتستنفد اهتمامها وقواها ، فأعلنت خروجها على الحكومة ، واتخذت «تيطوان»

ينضنض بلسانه على لقم الطريق ، إن تعرضوا له يلهث ، وان تركوه يلهث . ثم إذا فرغ من تعذيب الناس ممارماهم به من جارح القول عاد يتصبب عرقاً ، وأخذ مجلسه من ديوان الصناعة والتجارة عد يداً للوظيفة بعدها قرشاً قرشاً ويمسح عرقه بالأخرى كأنه أبلى فى عمله الحكومى الذى اؤتمن عليه »

صورة بارعة بلغت فيها الدعابة الساخرة غاية ما يتمناه صاحب « النكتة البلدية » ولكن بلغة هى من أفصح ما يكون

وليست مطابقة الكلام لقواعد النحو إلا عنصراً واحداً من عناصر لغة المرافعة الجيدة ، فما هى عناصرها الأخرى ؟

(يتبع)

زكى مبارك

المحامى أمام محكمة النقض والإبرام

عاصمة مراكش الأسبانية قاعدة لها ؛ وقد كانت مراكش الأسبانية وما زالت معقل العسكرية المتمردة ؛ بيد أن زعماء الثورة كانوا قد اتخذوا أهبتهم فى كثير من القواعد الأسبانية فى الشمال والجنوب حيث تحتشد العناصر المعارضة لحكومة مدريد ؛ وكان إعلان الثورة فى الثامن عشر من يوليه فى منطقة الحماية الأسبانية ، حيث أعلن زعيم الثورة الجنرال فرانكو ثورة الجيش على حكومة الجمهورية ، ووجوب تخليها عن الحكم . وفى الحال اجتازت عدة فرق من جيش مراكش البحر الى الشاطىء الأسبانى من جهة الجزيرة ومالقة . ولم تكن حكومة مدريد جاهلة بالأمر ، بيد أنها اضطربت لقيام الثورة فى عدة مناطق دفعة واحدة ، وزاد فى اضطرابها أن الوحدات البحرية والجوية التى سيرتها لمقاتلة الثائرين ، وإطلاق قنابلها على تيطوان ، انضم معظمها الى الجيش الثائر

وفى الحال اتسع نطاق الثورة ، وانضمت حاميات الشمال فى ولايات ليون وأراجون وخليقية إلى جانب الثورة ؛ واخترق الجيش الثائر ولايات الجنوب بسرعة ، واستولى على قواعد الأندلس : قادس وغرناطة وأشبيلية ؛ واتخذ أشبيلية قاعدة للزحف على مدريد ، وأعلنت القيادة الثائرة سقوط حكومة مدريد ، وقيام حكومة أسبانية جديدة فى الأندلس

أما حكومة مدريد فلم تر أمامها بعد الذى رأته من تمرد القوى النظامية سوى الاعتماد على التجنيد العام . ولنلاحظ أنه فى خلال الأيام الثلاثة أو الأربعة الأولى من قيام الثورة تعاقبت ثلاث وزارات فى مدريد ولم تمكث إحداها سوى أربع ساعات ، واستقال رئيس الجمهورية السنيور أزانا ؛ وفى الحال حشدت حكومة مدريد قوات جديدة من بين العمال والطوائف الموالية لها وهى التى تجتمع حول الجبهة الاشتراكية ، وسيرتها لمقاتلة الثوار فى الشمال والجنوب مع بعض القوات النظامية التى لبثت موالية لها . ومنذ أكثر من أسبوعين تضطرم أسبانيا بسلسلة لا نهاية لها من المعارك الدموية ، وتقول الحكومة فى بلاغاتها دائماً إنها تقبض على ناصية الموقف وإنها دحرت الثائرين حيثما دارت رحى الحرب الأهلية . وتذيع القيادة الثائرة من محطات الاذاعة اللاسلكية فى أشبيلية أنها دحرت قوى الحكومة ، والأنباء المتضاربة تتوالى من الجانبين ، بيد أنه يلوح من سير الحوادث والظروف أن جيش الثورة إذا استثنينا منطقة قطلونية الاشتراكية حيث دحرت العناصر الثائرة ، يتقدم فى معظم المناطق بسرعة ؛ وقد أشرفت القوات الثائرة على مقربة من مدريد ونشبت بينها وبين قوات الحكومة معركة هائلة فى « وادى راما » يقال إن الخسائر فيها بلغت من الجانبين زهاء عشرين ألفاً ؛ والخسائر فادحة فى جميع المناطق على وجه العموم ، وخصوصاً فى القوات غير النظامية التى حشدتها الحكومة من طوائف لا خبرة لها بالقتال . بيد أن قوات الحكومة استطاعت أن تقف زحف الثوار فى الشمال . وأما فى منطقة مدريد ، فلا تزال المعارك دائرة حتى كتابة هذه السطور ؛ والظاهر أن قوات الحكومة استطاعت أن تصمد فى وجه الثائرين ، لأن زعماء الثورة يقولون إنهم يعتمدون فى سقوط مدريد على الحصار وقطع مواصلاتها حتى تضطر إلى التسليم جوعاً

ويقول زعيم الثورة الجنرال فرانكو ، إن الثورة ترمى إلى انقاذ اسبانيا من براثن الشيوعية وانتشالها من تلك الهوة السحيقة التى تتردى فيها منذ غلبت عليها أحزاب اليسار واستولت على مقاليد الحكم ، وإن الروح الثورية قد أضرمت فى الشعب واستغلت لجانب الشيوعية ، وإن الجيش لا يستطيع صبراً على تلك الحال المخزية التى تبدو بها أسبانيا أمام العالم ، وإنهم قد اعتزموا إنقاذ أسبانيا من قبضة أعدائها الذين كادوا أن يقضوا على كيانها الاقتصادى . ويقول فى بلاغه الذى أصدره إلى الجيش : « إن الاعتصابات الثورية تشب من كل جانب وتشل حياة الأمة ، وتقضى على رفاهتها ، وتدفع بالشعب الأسبانى إلى الجوع واليأس ، وإن ذخائر أسبانيا الفنية قد أضحت عرضة لهجمات الجوع الثائرة التى تصدع بأمر الأجنبى ، وتمالئها السلطات ؛ وإن الأمة تدعو الجيش اليوم وتناديه لانقاذها ... الخ »

أما برنامج الثورة فيلخصه الجنرال فرانكو فيما يأتى : تحقيق السلام والأخاء بين جميع الأسبانيين ، وضمان العمل والعدالة الاجتماعية ، والقضاء على الانتخابات المزيفة ، والاعتصابات

الدبرة، وحماية الحكومة الدنية من كل النزعات الثورية، وحماية أسبانيا من الدسائس الأجنبية التى تعمل لخرابها ...

* * *

على أننا نستطيع أن نتبين من خلال هذه الحوادث والظروف حقيقة أخرى، هى أن الحرب الأهلية تضطرم فى أسبانيا من جهتين من المبادئ، أعنى بين الديمقراطية والفاشستية، وهذه هى نفس المعركة التى نشبت وما زالت تنشب فى كثير من الأمم الأوربية بين قوى الطغيان والديمقراطية. ولا ريب أن الفوضى التى تعانيها أسبانيا منذ قيام الجمهورية، والأزمات الداخلية المستمرة، هى ذريعة القوى الرجعية فى القيام بحركتها، وهى التى أدت بالحكومة الجمهورية إلى هذا الضعف الذى يعرضها إلى السقوط. ونلاحظ أن أسبانيا توجد اليوم فى ظروف تماثل ظروف إيطاليا قبل قيام الفاشستية؛ فقد انتهت بها الاضطرابات الاشتراكية المتوالية إلى مثل الحالة التى تعانيها أسبانيا اليوم وألفت الفاشستية، أو بعبارة أخرى قوى الطغيان الفرصة سانحة للقيام بوثبتها، والقبض على ناصية الحكم إلى يومنا

وليس من ريب فى أن العسكرية الأسبانية المتمردة ترمى بوثبتها إلى غايات فاشستية محضة؛ ومهما كان من الصيغ والتصريحات الخلابة التى تستتر وراءها فى القيام بحركتها، فان ظفرها يعتبر خطراً على أسبانيا من الوجهة الدستورية؛ ذلك أن قيام الدكتاتورية العسكرية معناه القضاء على النظام الجمهورى، وما يترتب عليه من الحقوق والحريات العامة، والعودة إلى نظام الطغيان الذى أنشأه الجنرال دى رفيرا قبل ذلك بعشرة أعوام، وربما كان ظفر العسكرية من جهة أخرى مقدمة لعود الملوكية الأسبانية، وقيامها ثانية فى كنف العسكرية الطاغية، ورهن نفوذها وإشارتها.

وثمة حقيقة أخرى، هى أن هذه المعركة التى تضطرم اليوم فى أسبانيا بين قوى الطغيان والديموقراطية بصورة مادية مروعة، إنما هى ناحية من المعركة العامة التى تدور رحاها اليوم فى أوربا بأسرها، تارة فى الجهر وتارة فى الخفاء، وربما كان من الصعب اليوم أن تتبين نتائج هذه المعركة الحالية فى المستقبل القريب؛ بيد أن الذى لا ريب فيه هو أن الديموقراطية فقدت كثيراً من قوتها القديمة، وأدت بضعفها وتخاذلها وما كشفت عنه فى الأعوام الأخيرة من نواحى الفساد، إلى إضعاف العقيدة الديموقراطية وتحول جانب كبير من أنصارها إلى الجبهة الخصيمة؛ وهذا وجه الخطر فى مستقبل الديموقراطية. وإذا أسفرت المعركة الحالية فى أسبانيا عن فوز العسكرية الطاغية، فان ذلك يكون ضربة جديدة للديموقراطية بأسرها، وعاملاً جديداً فى انتعاش القوى الرجعية، ونذيراً بالمستقبل المظلم الذى يهدد الديموقراطية فى جميع البلاد التى لا زالت تصمد فيها؟

(***)

لجنة التأليف والترجمة والنشر

تاريخ الفلسفة اليونانية

للأستاذ يوسف كرم

المدرس بكلية الآداب

وهو إحدى حلقات السلسلة الفلسفية التى توالى اللجنة إصدارها، وقد عرض المؤلف فى مقدمته للفكر اليونانى قبل الفلسفة ولهوميروس والأساطير والأديان ولرأيهم فى الطبيعة والآلهة وللحكماء والشعراء الخ

ثم تكلم فى أبوابه المرتبة على الطبيعيين الأولين وعرض للنظريات المختلفة فى أصول الأشياء والنفس والتناسخ وشرح وحدة الوجود والعناصر الأربعة والجوهر الفرد والطبيعة وما بعدها؛ فلم يدع شيئاً يهم الباحث والمتعلم. كما أن بالكتاب تراجم مفصلة للفلاسفة، وقاموساً نافعاً للأعلام والألفاظ الفلسفية، وهو مطبوع باللجنة طبعاً متقناً على ورق جيد ويقع فى ٣٥٣ صفحة وثمنه ٢٠ قرشاً

ويطلب من اللجنة بمقرها ٩ شارع الكردامى بعابدين بمصر، ومن المكاتب الشهيرة